القتل بدافع "الشرف"

جميل السلحوت

تُزْهَقُ أرواحُ نساء كثيرات كلّ عام في مختلف أرجاء المعمورة لأسـباب ثقافيـة لا علاقـة للحروب والنزاعات المسلحة بها. وإذا كانت بعض النساء تقتل عند شعوب أخـرى لأسـباب جنسية كأن يجد رجل زوجته أو عشيقته في علاقة حميمية مع رجل آخر فإن دافـع" تملـك" الرجل للمرأة قد يكون الدافع وراء مثل هذه الجريمة، أو قد يكون واقعا تحت تأثير المخدرات.

وما يهمنا نحن هو القتل بذريعة ما يسمى "الدفاع عن الشرف"، فمنأين جاءتنـا هـذه العـادة الجريمة التي تضعنا أمام تساؤلات كثيرة وكبيرة منها:هل الشرف صفة للنساء فقط؟؟ وإذا مـا افترضنا وجود علاقة جنسية "غير مشروعة" بين رجل وامرأة فهل يمسّ شرف الرجل كمـا يمسّ شرف المرأة؟ ولماذا توقع العقوبة على المرأة فقط؟؟ ولماذا يتم التستر علـى الرجـال خصوصا الذين يمارسون سفاح القربى مع محرمات مثل البنت أو بنت الأخ أو بنت الأخـت مع أن غالبية المرتكبين لهذه الجرائم يكونون رجالا بالغين ويمارسـون فعلـتهم مـع بنـات أطفال؟؟ بل لماذا يتم قتل البنت عندما يجري استغلالها جنسيا من قبل محرمين كالأب أو الأخ أو العم أو الخال...الخ؟وكم عدد النساء اللواتي قتلن ظلما وجورا لمجرد إشاعات كاذبة اختلقها رجال منحرفون؟؟.

وكم عدد العذارى اللواتي قتلن وأثبت الطب الشرعي أنهن عذراوات؟؟ وهل الدين الإسلامي- وهو دين الغالبية في مجتمعاتنا- يبيح القتل في مثل هكذا حالات؟؟وما هو مفهوم الشرف؟؟فهل اللصوص وتجار المخدرات ومتعاطوها والخائنون ...وغيرهم شـرفاء؟؟في ثقافتنـا الـشعبية مقولة تقول: بأن الأرض والعرض – بكسر العين وتسكين الراء – لا يفرط بهما وأن الرجـل يقدم روحه رخيصة دفاعا عنهما؟؟ لكننا فرطنا بالأرض وهربنا بالعرض ليجري انتهاكه على أيدي من لجأنا إليهم لحمايته، لنقع في المحظور الشعبي القائل "بأن من لا أرض له لا عرض له"من المحزن أن يتمحور شرف الرجل العربي في بضعة سنتيمترات ما بين فخذي المـرأة، ومن المحزن أكثر هو ارتكاب جريمة القتل تحت اسم "الشرف" وتحت اسم "محو العار"، فهل القتل يجلب الشرف ويمحو العار؟؟.

إن القتل يشكل فضيحة كبرى ليس على مرتكب الجريمة فقط وإنما على شعبه وأمته، فوسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة في مختلف أرجاء المعمورة وفي مختلف اللغات تنـشر عن الجريمة وأسبابها وبالأسماء، في حين لو تمّ التستر على الموضوع لبقي سرّا محـصورا في بضعة أشخاص، ولو علم مرتكبو جرائم القتل هذه أنهم يكتبون عارهم بالدم لما لجأوا لمثل هذه الجرائم، ومن المعروف أيضا أن مرتكبي جرائم القتل هذه قد يدخلون الـسجن لـسنوات طويلة قد تأخذ عمرهم بكامله، ليصبح القاتل قتيلا أيضا وراء القضبان.

ومن الجهل السائد أن بعض الفئات الاجتماعية تعطي القتل بعدا دينيا، فيحللون ما حـرّم الله وهم لا يعلمون، لأن الدين الإسلامي وضع عقوبة الجلد للزاني الأعزب، ووضـع شـروطا تعجيزية لإثبات عملية الزنا، وهي وجود أربعة شهود عدول رأوا العملية الجنسية كاملة دون

شبهات، وإذا ما كانوا أقل من أربعة فإنهم يجلدون لطعنهم بالمحصنين والمحـصنات، وعليـه فإن الضمّ والتقبيل والمفاخذة والمداعبة لا تصل إلى درجة الزنا- ولا يفهم من هذا أنها محللة ومسموح بها- أما الذي أباح الإسلام قتله فهو الثيب الزاني، والذي يقتله هو الحـاكم المـسلم الذي يحكم بشرع الله وليس أي شخص آخر، لأن الإسلام رسخ دولة القانون الشرعي، وهـو الذي احترم حياة الإنسان، حتى أن الرسول صلوات الله عليه اعتبر أن هـدم الكعبـة حجـرا حجرا أهون من قتل إنسان، وحتى الزوجين اللذين يضبط أحدهما الآخر متلبسا "بالزنا" فإنـه تجري بينهما الملاعنة ويفرق بينهما.

يبقى أن نقول أن القتل في هذا المجال هو إرث جاهلي ابتدعه المجتمع الذكوري، و أن الدين الإسلامي يحرم هذه الجريمة، مع التأكيد أنه لم يفرق بين الرجل والمرأة في العقوبـة وفـي التعامل مع هذه القضية .فهل تتجند وسائل الإعلام والمثقفون ورجال الدين لإعادة تثقيف عامة الناس حول هذا الموضوع؟.